القرآن الكريم

علومه وآدابه

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م
الكويت

القرآن الكريم
علومه وآدابه

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدلله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ليكون بشيراً ونذيراً، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين ومن كان بهم متأسياً ولهم نصيرا ،،،

القرآن الكريم هوكِتَابُ اللَّه فيه نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ وهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.

هذا مختصر موجز للتعريف بالقرآن الكريم وبيان بعض علومه وآداب حملته إستقيناها من كتب أئمتنا رضوان الله عليهم التي خدمت كتاب الله عزوجل، سائلين المولى سبحانه أن يلهمنا العمل بما احتوت عليه من آداب وأحكام.

وصلى الله وسلم على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

فضل قراءة القرآن الكريم وفضل أهله وفضل تعلمه وتعليمه

قال الشيخ الدكتور محمد مأمون كاتبي :

إعلـم أن تـلاوة القـرآن الكريم هي أفضـل الأذكار، فقد جاء الأمر الإلهي ثم النبوي بتلاوة القرآن الكريم.

قال تعالى:

إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ «النمل»

وقال تعالى:

ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ «العنكبوت»

فقد أمر الله تعالى بتلاوة القرآن الكريم
والتلاوة على نوعين:

١- تلاوة باللسان، وهي قراءة كلمات القرآن وحروفه، وقد جاءت الأحاديث في فضلها.

٢- وتلاوة بالأعمال والأقوال، وهي العمل بمقتضى القرآن الكريم إئتماراً بأمره وانتهاءً عن نهيه، وتأدبا بآدابه، وتخلقا بأخلاقه إلى ما وراء ذلك، فتلاوة القرآن الكريم حق تلاوته تشمل ذلك كله.

وأماالأحاديث التي جاءت في الأمر بقراءة القرآن فهي كثيرة فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقرءوا القرآن فإنه ياتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (اقرءوا القرءان، وابتغوا به الله تعالى، من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح، يتعجلونه ولايتأجلونه) رواه أحمدوأبوداود. والقدح هو السهم الذي يرمي به عن القوس بعد تقويمه.

وأمـا ما ورد من الأحاديث والآثـار الدالة على فضل القرآن وفضل أهله فكثير جدا وإليك طائفة منها:

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ حرفا مـن كتـاب الله، فله به حسـنة، والحسـنة بعشـر أمثالها، لا أقـول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف).

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل الـذي يقـرأ القرآن كالأترجـة طعمها طيـب، وريحهاطيب، والـذي لا يقـرأ القـرآن كالتمـرة طعمهـا طيبولا ريـح لها، ومثـل الفاجر الـذي يقرآ القـرآن، كمثل الريحانـة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، طعمها مر ولا ريح لها). رواه البخاري

وعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه). رواه مسلم

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (لا حسد إلا فـي اثنتـين، رجل آتاه لله القرآن فهو يقـوم به آناء الليل وآنـاء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار). رواه البخاري ومسلم

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يقول الله سبحانه وتعالى: من شغله القرآن وذكري أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين، وفضل كلام الله سبحانه وتعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه). رواه الترمذي

وعن ابن عباس رضي الله عنه ما قال: قال ﷺ : (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب). رواه الترمذي

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها). رواه الترمذي

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (لله م ن الناس أهلون قيل: من هم يارسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته). رواه أحمد والنسائي والحاكم في المستدرك

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه النبي ﷺ أنه قال: (أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن). أخرجه أبو داود وأحمد

وعن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: كنت عند النبي ﷺ فسمعته يقول: (إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القران أظمأتك في

الهواجر وأسهرت ليلك ، ان كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم وراء كل تجارة، قال: فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لايقوم لهما أهل الدنيا. فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود مادام يقرأ هدًا كان أو ترتيلا). رواه الدارمي وأحمد وابن ماجه

وأما فضل تعلمه وتعليمه فقد ورد في هذا أحاديث كثيرة منها ما رواه الإمام البخاري والترمذي وغيرهما عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

وفي رواية: (أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)

قال الحافظ في الفتح: وقدسئل سفيان الثوري عن الجهاد، وإقراء القرآن فرجّح الثاني واحتج بهذا الحديث.

وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (خيركم من قرأ القرآن وأقرأه). يقول الشيخ الدكتور محمد مأمون كاتبي : تقدم بمعناه في الحديث السابق وأصله في الصحيح . يقول الشيخ الدكتور محمد مأمون كاتبي : تقدم بمعناه في الحديث السابق وأصله في الصحيح.

بيان المكي والمدني من القرآن

قال العلماء في المكي والمدني ثلاث اصطلاحات:

أحدها: أن المكي ما نزل على النبي ﷺ بمكة، والمدني ما نزل عليه بالمدينة.

الثاني: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

الثالث: أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة هذا هو المشهور. وقد ذهل العلامة الماوردي عن ذلك حيث قال: إن البقرة مدنية في قول الجميع إلا أية وهي: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾، فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى، فإن نزولها هناك لا يخرجها عن المدني في الاصطلاح، لأن ما نزل بعد الهجرة مدني سواء نزل بالمدينة أو بغيرها.

علامات يعرف بها المكي والمدني

كل سورة فيها: يا أيها الناس، وليس فيها يا أيها الذين آمنوا، فهي مكية وفي سورة الحج اختلاف.

وكل سورة فيها كلا فهي مكية.

وكل سورة في أولها حروف المعجم فهي مكية إلا البقرة وآل عمران، وفي سورة الرعد خلاف.

وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.

وكل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى سورة العنكبوت.

وقال هشام بن عروة عن أبيه: كل سورة ذكر فيها الحدود والفرائض فهي مدنية، وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية.

أقرب ما قيل في تعداد السور المكية والمدنية إلى الصحة، أن المدني عشرون سورة: ١- البقرة ٢- آل عمران ٣- النساء ٤- المائدة ٥- الأنفال ٦- التوبة ٧- النور ٨- الأحزاب ٩- محمد ١٠- الفتح ١١- الحجرات ١٢- الحديد ١٣- المجادلة ١٤- الحشر ١٥- الممتحنة ١٦- الجمعة

١٧- المنافقون ١٨- الطلاق ١٩- التحريم ٢٠- النصر.

وأن المختلف فيه اثنتا عشرة سورة: ١- الفاتحة ٢- الرعد ٣- الرحمن ٤- الصف ٥- التغابن ٦- التطفيف ٧- القدر ٨- البينة ٩- الزلزلة ١٠- الإخلاص ١١- الفلق ١٢- الناس.

وأن ما سوى ذلك مكي وهو اثنتان وثمانون سورة، فيكون مجموع سور القرآن مائة وأربع عشر سورة.

فوائد العلم بالمكي والمدني

١- الإستعانة به في تفسير القرآن، فإن معرفة مواقع النزول تساعد على فهم الآية وتفسيرها تفسيراً صحيحا، وإن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ويستطيع المفسّر في ضوء ذلك عند تعارض المعنى في آيتين أن يميز بين الناسخ والمنسوخ، فإن المتأخر يكون ناسخا للمتقدم.

٢- تذوّق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله ، فإن لكل مقام مقالا، ومراعاة مقتضى الحال من أخصّ معاني البلاغة وخصائص أسلوب المكي في القرآن والمدني منه تعطي الدارس منهجا لطرائق الخطاب في الدعوة إلى الله بما يلائم نفسية المخاطب، ويمتلك عليه

لبّه ومشاعره، ويعالج فيه دخيلته بالحكمة البالغة، ولكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعاتها وأساليب الخطاب فيها، كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئتهم، ويبدو هذا واضحا جليا بأساليب القرآن المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب.

٣- الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية، فإن تتابع الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساير تاريخ الدعوة بأحداثها في العهد المكي والعهد المدني منذ بدأ الوحي حتى آخر آية نزلت، والقرآن الكريم هو المرجع الأصيل لهذه السيرة الذي لا يدع مجالا للشك فيما روى عن أهل السير موافقا له، ويقطع دابر الخلاف عند اختلاف الروايات.

أول ما نزل من القرآن

أُختلف في أول ما نزل من القرآن على ثلاثة أقوال:

القول الأول: اقرأ باسم ربك، وهذا هو الصحيح.

روى الشيخان وغيرهما، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة رضى‌الله عنها فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ فقال رسول الله ﷺ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطّنى حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني ، فقال: اقرأ، فقل: ما أنا بقارئ، فغطّنى الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، حتى بلغ مالم يعلم، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره. الحديث. الغطُّ : العصر الشديد والكبس.

القول الثاني: يا أيها المدثر، روى الشيخان، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أنه قال: سألت جابر بن عبد الله، أي القرآن أنزل أول؟ فقال: يا أيها المدثر، فقلت: نبئت

أنه اقرأ باسم ربك الذي خلق، فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: جاورت في حراء، فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض فأتيت خديجة رضى الله عنها فقلت: دثّروني وصبّوا على ماء باردا، وأنزل عليّ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾. «المدثر»

وأجاب أرباب القول الأول عن ذلك بأن جابر سمع النبي ﷺ يذكر قصة بدء الوحي، فسمع آخرها ولم يسمع أولها، فتوهم أنها أول ما أنزل، وليس الأمر كذلك.

القول الثالث: سورة الفاتحة، قال في الكشّاف: ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن أول سورة نزلت اقرأ، وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب. قال الحافظ ابن حجر: والذي ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول وأما الذي نسبه إلى الاكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال الأول.

وطريق الجمع بين الأقوال أن يقال: إن أول ما نزل من الآيات: اقرأ باسم ربك الذي إلى قوله: مالم يعلم، وأول ما

نزل من أوامر التبليغ: يا أيها المدثر وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة.

آخر ما نزل من القرآن

وأُختلف في ذلك أيضافروى الشيخان عن البراء بن عازب أنه قال: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾«النساء (١٧٦)» وآخر سورة نزلت براءة، وفي حديث عثمان المشهور: براءة من آخر القرآن نزولا.

وأخرج مسلم، عن ابن عباس أنه قال: آخر سورة نزلت:﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت نزلت المائدة فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه والحديث. وأخرجا أيضا عن عبد الله بن عمرو أنه قال: آخر سورة نزلت المائدة والنصر يعني: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾.

وأخرج البخاري، عن ابن عباسرضىالله عنهما أنه قال: آخر آية نزلت أية الربا. وروي البيهقي عن عمر رضىالله عنه مثله.والمراد بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ

مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ «البقرة (٢٧٨)» ، وعند أحمد وابن ماجة، عن عمر: من آخر ما نزل أية الربا، وعند ابن مردويه، عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر فقال: إن من آخر القرآن نزولا آية الربا.

وأخرج النسائي من طريق عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: آخر شيء نزل من القرآن: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾، «البقرة»

وأخرج ابن مردويه نحوه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، بلفظ آخر آية نزلت، وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي والضحاك: عن ابن عباس. وأخرج ابن ابي حاتم ، عن سعيد بن جبير قال : اخر ما نزل من القران كله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّه﴾،«البقرة» . وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول .

وأخرج ابن جرير مثله، عن ابن جريج، وأخرج من طريق عطية، عن أبي سعيد أنه قال: آخر آية نزلت: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّه﴾، «البقرة».

وأخرج أبو عبيد في «الفضائل» عن ابن شهاب أنه قال: آخر القرآن عهدا بالعرش: آية الربا، وآية الدَّين.

وقال الحافظ جلال الدين صاحب «الاتقان»: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا: واتقوا يوما وآية الدين، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة، كترتيبها في المصحف، لأنها في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح.

وفي «مستدرك الحاكم»، عن أبيّ بن كعب أنه قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ إلى آخر السورة، وروى عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» وابن مردويه ، عن أبيّ أنهم جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وكان رجال يكتبون، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾، ظنّوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن، فقال لهم أبيّ بن كعب: إن رسول الله ﷺ وسلم أقرأني بعدها آيتين: إلى قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ وقال: هذا آخر ما نزل من القرآن.

قال البيهقي: يجمع بين هذه الاختلافات إن صحت بأن كل واحد أجاب بما عنده.

ومن غريب ما ورد في ذلك ما أخرجه البخاري، عن ابن عباس أنه قال: نزلت هذه الآية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾، «النساء»، هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء، وعند أحمد والنسائي عنه: لقد نزلت في آخر ما نزل، ما نسخها شيء.

وأخرج ابن مردويه من طريق مجاهد، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: آخر آية نزلت هذه الآية. ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ «آل عمران» ، إلى آخرها. وذلك أنها قالت: يا رسول الله، أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء، فنزلت:

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾«النساء»، ونزلت : إن المسلمين والمسلمات ونزلت هذه الآية، فهي آخر الثلاثة نزولا أو آخر ما نزل بعد ما كان ينزل في الرجال خاصة.

ويُشكل على ما تقدم قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ «المائدة» ، فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع. وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، وقد صرح بذلك جماعة منهم السدي فقال: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام مع أنه ورد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك.

وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال: الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم: بإقرارهم بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه، حتى حجّه المسلمون لا يخالطهم المشركون، ثم أيده بما أخرجه من طريق ابن أبي طلحة، عن ابن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: كان المشركون والمسلمون يحجون جميعا، فلما نزلت براءة نفي المشركون عن البيت، وحج المسلمون لا يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين، فكان ذلك من تمام النعمة: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ «المائدة» .

تنجيم القرآن الكريم

معنى التنجيم

التنجيم في اللغة: التفريق يقال: نجَّم المال تنجيما: إذا أداه نجوماً وتنجيم القرآن أي نزوله مفرّقا على دفعات.

مدة التنجيم

نزل القرآن منجّما في مدة ثلاث وعشرين سنة.

موقف المشركين من التنجيم

كان تنجيم القرآن الكريم مثار الاعتراض من المشركين وقد ذكر ذلك القرآن الكريم وأجاب عنه.

قال تعالى:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾

«الفرقان»

ومن المفيد أن ننقل تعليق أبي شامة على الآية كما أورده السيوطي في الاتقان قال أبو شامة: فإن قيل: ما السرّ في نزوله منجما؟ وهلاّ أنزل كسائر الكتب جملة؟ قلنا: هذا

سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ

يعنون: كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم الله تعالى بقوله «كَذَلِكَ» أي أنزلناه كذلك مفرقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشدّ عناية بالمرسل اليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل.

حكمة التنجيم وأسراره

١- تثبيت فؤاد النبي ﷺ: لأن في تجدد الوحي قوة لقلبه ﷺ واستشعارا لعناية الله برسوله ﷺ، وهذا فضلا عن مضمون الآيات المشجعة للرسول ﷺ المعزية له كما في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ «المزّمل».

٢- تسهيل حفظه على الرسول ﷺ والمسلمين وتسهيل فهمه.

٣- مـوالاة تقريـع الكفـار بالحجّـة بعـد الحجّـة وتجديـد تذكيرهم بانحرافهم وسـوء عقيدتهـم، لو نزل القرآن دفعة واحدة لواجه الكفار هذه التقريعات، وتألموا لها أول مرة، ثم ألفوها، ونسيها الناس.

٤- اسـتغلال الحوادث و الوقائع للرد على المشـركين وفضح المنافقين.

٥- تعميق التأثير في النفس والتذكر.

٦- رعايـة المجتمـع الإسـلامي والأخـذ بيـده فـي الحيـاة الجديدة.

معرفة سبب النزول

قال الجعبري: نزول القرآن على قسـمين: قسم نزل ابتداء وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال وفي هذا النوع مسائل:

المسألة الأولى:

زعـم زاعـم أنـه لا طائـل تحت هـذا الفن لجريانـه مجري التاريخ وأخطأ في ذلك بل له فوائد:

منها: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

ومنها: تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

ومنه: أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع كما حكى الإجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب ولا التفات إلى من شذ فجوز ذلك.

ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال. قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.

وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.

وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

وقد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى:

لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ «آل عمران»

وقال: لئن كان كل أمرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، لنعذّبَنَّ أجمعين حتى بيّن له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه. أخرجه الشيخان.

ومنها: دفع توهم الحصر، قال الشافعي ما معناه في قوله تعالى:

قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ «الأنعام»

إن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله، فكانوا على المضادّة والمحادّة، فجاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه

قـال: لا حـلال إلا ما حرمتموه، ولا حـرام إلا ما أحللتموه، نـازلا منزلة من يقول: لا تأكل اليـوم حلاوة، فنقول: لا آكل اليـوم إلا الحلاوة، والغرض المضـادة لا النفي والإثبات على الحقيقـة فكأنـه تعالى قـال: لا حرام إلا مـا أحللتموه، من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم لا الحل.

ومنها: معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها.

المسألة الثانية:

اختلف أهل الأصول: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟

والأصـح عندنـا: الأول، وقـد نزلت آيات في أسـباب واتفقوا على تعديتها إلى غير أسـبابها، كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر، وآية اللعان في شـأن هلال بن أمية، وحد القذف في رماة عائشـة، ثم تعدى إلى غيرهم، «أي فأنه يشـمل كل من وجد فيه المعنى الذي بسببه نزلت الآيات».

جمع القرآن الكريم

يطلق جمع القرآن ويراد به عند العلماء أحد معنيين:

المعنى الأول: جمعه بمعنى حفظه، وجمّاع القرآن: حفّاظه وهذا المعنى هو الذي ورد في قوله تعالى في خطابه لنبيه ﷺ، وقد كان يحرك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا نزل عليه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي حرصاً على أن يحفظه:

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ «القيامة»

عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله تعالى:

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾

قال: يقول: إن علينا أن نجمعه في صدرك ثم نقرأه فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ يقول: إذا أنزلناه عليه فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ فاستمع له وأنصت ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ أن نبينه بلسانك. وفي لفظ: علينا أن نقرأه فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق.

وفي لفظ: استمع، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله» أخرجه البخاري ومسلم.

المعنى الثاني: جمع القرآن بمعنى كتابته كله، مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط، وكل سورة، في صحيفة على حدة، أو مرتب الآيات والسور في صحائف مجتمعة تضم السور جميعا وقد رتب إحداهما بعد الأخرى.

جمع القران الكريم في عهد رسول الله ﷺ

أ- جمع القرآن بمعنى حفظه في عهد الرسول ﷺ

كان رسول الله ﷺ مولعا بالوحي، يترقب نزوله عليه بشوق، فيحفظه ويفهمه، مصداقا لوعد الله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ «القيامة»، فكان بذلك أول الحفاظ، ولصحابته فيه الأسوة الحسنة، شغفا بأصل الدين ومصدر الرسالة، وقد نزل القرآن في بضع وعشرين سنة، فربما نزلت الآية المفردة وربما نزلت آيات عدة إلى عشر، وكلما نزلت آية حفظت في الصدور، ووعتها القلوب والأمة العربية كانت بسجيتها قوية الذاكرة، تستعيض عن أميتها في كتابة أخبارها وأشعارها وأنسابها بسجل صدورها.

وقد أورد البخاري في صحيحه بثلاث روايات سبعة من الحفاظ هم: عبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وأبو زيد بن السكن وأبو الدرداء رضي الله عنهم.

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: :خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم ومعاد وأبي بن كعب» وهؤلاء الأربعة ، اثنان من المهاجرين هما: عبد الله بن مسعود وسالم واثنان من الأنصار هما: معاذ وأبيّ.

٢- وعن قتادة قال: «سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ فقال: أربعة، كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد، قلت : من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي». رواه البخاري

٣- وروي من طريق ثابت عن أنس كذلك قال: «مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد ابن ثابت وأبو زيد» رواه البخاري

وذكر هؤلاء الحفاظ السبعة، أو الثمانية لا يعني الحصر فإن النصوص الواردة في كتب السير والسنن

تدل على أن الصحابة كانوا يتنافسون في حفظ القرآن ويحفّظونه أزواجهم وأولادهم، ويقرءون به في صلواتهم بجوف الليل حتى يسمع لهم دوي كدويّ النحل وكان رسول الله ﷺ يمر على بيوت الأنصار، ويستمع إلى ندى أصواتهم بالقراءة في بيوتهم، عن أبي موسى الأشعري: «أن رسول الله ﷺ قال: لو رأيتني البارحة وأنا استمع لقراءتك؟ لقد أعطيت مزمارا من مزامير داود». رواه البخاري

وعن عبد الله بن عمرو قال: «جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي ﷺ فقال: اقرأه في شهر» أخرجه النسائي بسند صحيح.

فهذا الحصر للسبعة المذكورين من البخاري بالروايات الثلاث الآنفة الذكر محمول على أن هؤلاء هم الذين جمعوا القرآن كله في صدورهم، وعرضوه على النبي ﷺ واتصلت بنا أسانيدهم، أما غيرهم من حفظة القرآن وهم كثر فلم يتوافر فيهم هذه الأمور كلها، لا سيما وأن الصحابة تفرقوا في الأمصار، وحفظ بعضهم عن بعض، ويكفي دليلا على ذلك أن الذين قتلوا في بئر معونة من الصحابة كان يقال لهم القرّاء، وكانوا سبعين رجلا كما في الصحيح، قال القرطبي: «قد قتل يوم اليمامة سبعون من

القـراء - وقتـل فـي عهـد النبـي ﷺ ببئر معونـة مثل هذا العدد» وهذا هو ما فهمه العلماء وأوّلوا به الأحاديث الدالة على حصر الحفاظ في السبعة المذكورين.

ب- جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد الرسول ﷺ:

اتخذ رسول الله ﷺ كتّابا للوحي من أجلاء الصحابة، كعلي ومعاويـة وأبي بن كعب، وزيد بن ثابـت تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشـدهم إلى موضعها من سورتها، حتى تظاهر الكتابة في السطور والجمع في الصدور.

كمـا كان بعـض الصحابـة يكتبـون مـا ينـزل مـن القـرآن ابتـداء مـن أنفسـهم، دون أن يأمرهم النبـي ﷺ فيخطونه في العسـب، واللخـاف، والكرانيف والرقـاع والأقتاب وقطع الأديم، والأكتاف، عن زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع. أخرجه الحاكم

وهـذا يدل على مدى المشـقة التـي كان يتحملها الصحابة في كتابة القرآن حيث لم تتيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل، فأضافوا الكتابة إلى الحفظ.

وكان جبريل يعارض رسول الله ﷺ بالقرآن كل سنة في ليالي رمضان، عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما: كان رسـول

الله ﷺ أجـود النـاس ، وكان أجود ما يكـون في رمضان حين يلقـاه جبريـل، وكان يلقـاه جبريل في كل ليلـة من رمضان فيدارسـه القرآن، فلرسـول الله ﷺ حين يلقـاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة». متفق عليه

وقبض رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب فـي الصحـف علـى نحـو ما سـبق مفـرق الآيـات والسـور، أو مرتـب الآيـات فقط وكل سـورة فـي صحيفة علـى حدة، بالأحرف السبعة الواردة، ولم يجمع في مصحف عام، حيث كان الوحـي يتنـزل تباعا فيحفظـه القراء ويكتبـه الكتبة، ولـم تدع الحاجة إلى تدوينه فـي مصحف واحد، لأنه عليه الصـلاة والسـلام كان يترقب نـزول الوحي مـن حين لآخر، وقـد يكون منه الناسـخ لشـيء نزل من قبـل، وكتابة القرآن لـم يكـن ترتيبها بترتيب النزول بل تكتـب الآية بعد نزولها حيث يشـير ﷺ إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا في سـورة كـذا ولو جمـع القرآن كلـه بين دفتـي مصحف واحد لأدّى هـذا الـى التغييـر كلمـا نزل شـيء من الوحـي. قال الزركشـي: وإنما لم يكتب في عهـد النبي ﷺ مصحف لئلا يفضي إلى تغييره في كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته ﷺ وبهذا يفسّر ما رُوي عن زيد بن

ثابت، قال: «قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء» أي لم يكن جمع مرتب الآيات والسور في مصحف واحد، قال الخطابي: «إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف بما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر.

ويسمى هذا الجمع في عهد النبي ﷺ حفظا و كتابة «**الجمع الأول**»

جمع القرآن في عهد سيدنا أبي بكر الصّديق رضي الله عنه

قام أبو بكر الصّديق رضي الله عنه بأمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ، وواجهته أحداث جسام في ارتداد جمهرة العرب، فجهز الجيوش أوفدها لحروب المرتدين، وكانت غزوة أهل اليمامة سنة اثنى عشرة للهجرة تضم عددا كبيرا من الصحابة القراء، فاستشهد في هذه الغزوة سبعون قارئا من الصحابة، فهال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودخل على أبي بكر رضي الله عنه وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع ، فان القتل

قد استحر يوم اليمامة بالقراء ويخشى إن استحر بهم في المواطن الأخرى أن يضيع القرآن وينسى، فنفر أبو بكر من هذه المقالة وكبر عليه أن يفعل مالم يفعله رسول الله ﷺ وظل عمر يراوده حتى شرح الله صدر أبي بكر لهذا الأمر، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت لمكانته في القراءة والكتابة والفهم والعقل، وشهوده العرضة الأخيرة، وقص عليه قول عمر – فنفر زيد من ذلك كما نفر أبوبكر من قبل، وتراجعا حتى طابت نفس زيد للكتابة وبدأ زيد بن ثابت في مهمته الشاقة معتمدا على المحفوظ في صدور القراء، والمكتوب لدى الكتبة وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر، حتى إذا توفي سنة ثلاث عشرة للهجرة صارت بعده إلى عمر وظلت عنده حتى مات – ثم كانت عند حفصة ابنته صدرا من ولاية عثمان حتى طلبها عثمان من حفصة.

عن زيد بن ثابت قال: «أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبوبكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أريد أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو

والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر – قال زيد: قال أبوبكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة

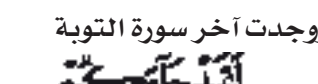

براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر».

فإن قيل: كان زيد حافظا للقرآن وجامعا له فما وجه تتبعه المذكورات، فالجواب أنه كان يستكمل وجوه قراءاته ممن عنده ما ليس عنده وكذا نظره في المكتوبات التي قد عرفت كتابتها وتيقن أمرها فإنها أو أكثرها مما كتب بين يدي النبي ﷺ فلابد من النظر فيها، وإن كان حافظا ليستظهر

بذلك وليعلم هل فيها قراءة غير قراءته أم لا ؟ وإذا استند الحافظ عند الكتابة إلى أصل يعتمد عليه كان آكد وأثبت.

فسيدنا زيد رضي الله عنه اعتمد في جمعه على مصدرين:

الأول: ما كان مكتوبا في عهد الرسول ﷺ.

الثاني: ما كان محفوظا في صدور الحفّاظ، وكان يتوثق في الأخذ من المكتوب غاية التوثق حتى يتيقن أنه مما كتب بين يدي رسول الله ﷺ وأنه مما ثبت في العرضة الأخيرة، وأنه لم ينسخ تلاوته ولذلك لم يكن يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب أمام الرسول ﷺ يدلك على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان.

قال الإمام السخاوي في كتابه (جمال القراء): المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ ولم يعتمد زيد على الحفظ وحده، ولذلك قال في آخر سورة براءة إنه لم يجدها إلّا مع أبي خزيمة، أي لم

يجدها مكتوبة إلا معه مع أنه كان يحفظها وكان كثير من الصحابة يحفظونها، ولكنه يريد أن يجمع بين الحفظ والكتابة، زيادة في التوثق، ومبالغة في الاحتياط، وقد راعى زيد في كتابة هذه الصحف أن تكون مشتملة على ما ثبتت قرآنيته بطريق التواتر، واستقر في العرضة الأخيرة ولم تنسخ تلاوته، وأن تكون مرتبة الآيات والسور جميعا، وأن تكون مجردة عما ثبتت قرآنيته بطريق الآحاد، وعما ليس بقرآن من شرح أو تأويل، وتم جمع القرآن على هذا النحو من صدور الحفّاظ، ومما كتب بين يديه ﷺ بإشراف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

جمع القرآن في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه

اتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية، وتفرق القراء في الأمصار، وأخذ أهل كل مصر عمن وفد إليهم قراءته، ووجوه القراءة التي يؤدون بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف التي نزل عليها فكانوا إذا ضمهم مجمع او موطن من مواطن الغزو عجب البعض من وجوه هذا الاختلاف، وقد يقنع بأنها جميعا مسندة إلى رسول الله ﷺ ولكن هذا لا يحول دون تسرب الشك للناشئة التي لم تدرك الرسول ﷺ، فيدور الكلام حول فصيحها وأفصحها، وذلك يؤدي إلى الملاحاة إن

استفاض أمره ومردوا عليه، ثم إلى اللجاج والتأثيم، وتلك فتنة لابد لها من علاج.

فلما كانت غزوة « أرمينية» وغزوة «أذربيجان» من أهل العراق، كان فيمن غزاهما «حذيفة بن اليمان» فرأى اختلافا كثيرا في وجوه القراءة، وبعض ذلك مشوب باللحن، مع إلف كل لقراءته ووقوفه عندها، ومماراته مخالفة لغيره وتكفير بعضهم الآخر حينئذ فزع إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخبره بما رأى، وكان عثمان قد نمى إليه أن شيئا من ذلك الخلاف يحدث لمن يقرئون الصبية، فينشأ هؤلاء وبينهم من الاختلاف ما بينهم فأكبر الصحابة هذا الأمر مخافة أن ينجم عنه التحريف والتبديل، وأجمعوا أمرهم أن ينسخوا الصحف الأولى التي كانت عند أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويجمعوا الناس عليها بالقراءات الثابتة على حرف واحد فأرسل عثمان إلى حفصة، فأرسلت إليه بتلك الصحف ثم أرسل إلى زيد بن ثابت الأنصاري وإلى عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشيين رضي الله عنهم، فأمرهم أن ينسخوها في المصاحف، وأن يكتب ما اختلف فيه زيد مع رهط القرشيين الثلاثة بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم.

عـن أنـس « أن حذيفـة بـن اليمان قـدم على عثمـان، وكان يغـازي أهل الشـام فـي أرمينية وأذربيجان مـع أهل العراق، فأفـزع حذيفـة اختلافهم في القراءة، فقـال لعثمان: أدرك الأمـة قبل أن يختلفـوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسـل إلى حفصة أن أرسـلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسـلت بها حفصة إلى عثمان – فأمر زيد بـن ثابـت. وعبـد الله بن الزبير، وسـعيد بن العـاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمـان للرهط القرشـيين الثلاثـة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بـن ثابت في شـيء من القـرآن فاكتبوه بلسـان قريش فإنه إنمـا نزل بلسـانهم ، ففعلـوا حتى إذا نسـخوا الصحف في المصاحـف رد عثمـان الصحـف إلى حفصة، وأرسـل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفـة أو مصحـف أن يحـرق، قال زيد: آيـة من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها: فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

«الأحزاب»

فألحقناها في سورتها في المصحف. رواه البخاري

ودلت الآثار على أن الاختلاف في وجوه القراءة لم يفزع منه حذيفة بن اليمان وحده، بل شاركه غيره من الصحابة في ذلك، عن ابن جرير قال» حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، قال حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، قال لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل. فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين – قال أيوب : فلا أعلمه إلا قال – حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا فقال: «أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نأى عني من أهل الأمصار اشد فيه اختلافا وأشد لحنا، اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما». قال أبو قلابة: فحدثني أنس بن مالك قال: كنت فيمن يملي عليهم، قال: فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله أن يكون غائبا في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها، حتى يجيء أو يرسل إليه فلما فرغ من المصحف كتب عثمان إلى أهل الأمصار: إني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم».

وعند سويد بن غفلة قال: قال علي : «لا تقولوا في عثمان إلا خيرا فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا. قال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرا ، قلنا فما ترى. قال أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا: فنعم ما رأيت». أخرجه ابن أبي داود بسند صحيح.

وهذا يدل على أن ما صنعه عثمان قد أجمع عليه الصحابة كتبت مصاحف على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن. ليجتمع الناس على قراءة واحدة، ورد عثمان الصحف إلى حفصة، وبعث إلى كل أفق بمصحف من المصاحف، واحتبس بالمدينة واحدا هو مصحفه الذي يسمى «مصحف الإمام» وتسميته بذلك لما جاء في بعض الروايات السابقة من قوله: «اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما» وأمر أن يحرق ما عدا ذلك من صحيفة أو مصحف، وتلقت الأمة ذلك بالطاعة وتركت القراءة بالأحرف الستة الأخرى.

ولا ضير في ذلك فإن القراءة بالأحرف السبعة ليست واجبة، ولو أوجب رسول الله ﷺ على الأمة القراءة بها

جميعا لوجب نقل كل حرف منها نقلا متواترا تقوم به الحجة. ولكنهم لم يفعلوا ذلك فدل هذا على أن القراءة بها من باب الرخصة. وأن الواجب هو تواتر النقل ببعض هذه الأحرف السبعة. وهذا هو ما كان.

الفرق بين جمع سيدنا أبي بكر وجمع سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنهما:

يتبين من النصوص أن جمع أبي بكر يختلف عن جمع عثمان في الباعث والكيفية.

فالباعث لدى أبي بكر رضي الله عنه لجمع القرآن خشية من ذهابه بذهاب حملته، حين استحرّ القتل بالقراء.

والباعث لدى عثمان رضي الله عنه كثرة الاختلاف في وجوه القراءة، حين شاهد هذا الاختلاف في الأمصار وخطّأ بعضهم بعضا.

وجمع أبي بكر للقرآن كان نقلا لما كان مفرقا في الرقاع والاكتاف والعسب.

وجمعا له في مصحف واحد مرتب الآيات والسور. مقتصرا على مالم تنسخ تلاوته مشتملا على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

وجمع عثمان للقرآن كان نسخا له على حرف واحد من الحروف السبعة، حتى يجمع المسلمين على مصحف واحد. وحرف واحد يقرءون به دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى. قال ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، فجمعه في صحائف، مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجا بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسّع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة.

شبه مردودة

هنـاك شـبه يثيرهـا أهل الأهـواء لتوهـين الثقـة بالقرآن، والتشكيك في دقة جمعه، ونحن نورد أهمها ونرد عليها:

١- قالـوا: إن الآثـار قد دلـت على أن القرآن قد سـقط منه شيء لم يكتب في المصاحف التي بأيدينا اليوم:

أ- عـن عائشـة رضـي الله عنها قالت: «سـمع رسـول الله ﷺ رجلا يقرأ في المسـجد فقال: يرحمه اللـه، لقد أذكرني كذا وكـذا آية من سـورة كذا» وفـي رواية «أسـقطتهن في آية كذا وكذا» وفي رواية «كنت أنسيتها».

ويجاب عن هذا بأن تذكير الرسول ﷺ بآية أو آيات قد أنسيها أو أسـقطها نسـيانا لا يشـكك في جمع القرآن، فإن الرواية التي جاء فيها التعبير بالإسـقاط تفسرها الرواية الاخرى «كنت أنسـيتها» وهذا يدل على أن المراد باسقاطها نسيانها، كما يدل عليه لفظ «أذكرني» والنسيان جائز على رسول الله ﷺ فيمـا لا يخـل بالتبليـغ، وكانت هذه الآيـات قد حفظها رسـول الله ﷺ، واسـتكتبها كتّاب الوحي، وحفظها الصحابة في صدورهم، وبلغ حفظها وكتابتها مبلغ التواتر، فنسـيان

الرسول ﷺ لها بعد ذلك لا يؤثر في دقة جمع القرآن، وهذا هو غاية ما يدل عليه الحديث. ولذا كانت قراءة هذا الرجل – وهو أحد الحفظة الذين يبلغ عددهم حد التواتر – مذكرة لرسول الله ﷺ «لقد أذكرني كذا وكذا آية».

ب- وقال تعالى في سورة الأعلى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ «الأعلى»

والاستثناء يدل على أن رسول الله ﷺ أنسى بعض الآيات. ويجاب عن ذلك بأن الله تعالى قد وعد رسوله بإقراء القرآن وحفظه وآمنه من النسيان في قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى (٦)﴾ ولما كانت الآية توهم لزوم ذلك، والله تعالى فاعل مختار ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ «الأنبياء»

جاء الاستثناء ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ للدلالة على أن هذا الإخبار بإقراء الرسول ﷺ القرآن وتأمينه من النسيان ليس خارجا عن إرادته تعالى، فإنه سبحانه لا يعجزه شيء.

وما ورد من أنه ﷺ نسي شيئا كان يذكره فذلك إن صح، فهو في غير ما أنزل الله من الكتاب والأحكام التي أمر بتبليغها، وكل ما يقال غير ذلك فهو من مدخلات الملحدين، التي جازت على عقول المغفلين، فلوّثوا بها ما طهّره الله، فلا يليق بمن يعرف قدر صاحب الشريعة ﷺ ويؤمن بكتاب الله أن يتعلق بشيء من ذلك.

٢- وقالوا: إن في القرآن ما ليس منه، واستدلوا على ذلك بما روى من أن ابن مسعود أنكر أن المعوذتين من القرآن.

ويجاب عن ذلك بأن ما نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه لم يصح، وهو مخالف لإجماع الأمة، قال النووي في شرح المهذب: وأجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد شيئا منها كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح، وقال ابن حزم: هذا كذب على ابن مسعود وموضوع.

وعلى فرض صحته، فالذي يحتمل أن ابن مسعود لم يسمع المعوذتين من النبي ﷺ فتوقف في أمرهما.

وإنكار ابن مسعود لا ينقض إجماع الأمة على أن المعوذتين من القرآن المتواتر.

ومثل هذا يجاب به على ما قيل من أن مصحف ابن مسعود قد أسقطت منه الفاتحة، فإن الفاتحة هي أم القرآن، ولا تخفى قرآنيتها على أحد.

٣- ويزعم نفر من غلاة الشيعة أن أبا بكر وعمر وعثمان حرّفوا القرآن، وأسقطوا بعض آياته وسوره فحرّفوا لفظ ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ «النساء» والأصل «أئمة هي أزكى من أئمتكم» وأسقطوا من سورة الأحزاب آيات فضائل أهل البيت وقد كانت في طولها مثل سورة «الأنعام»، أسقطوا سورة الولاية بتمامها من القرآن.

ويجاب عن ذلك بأن هذه الأقوال أباطيل لا سند لها، ودعاوي لا بينة عليها، والكلام فيها حمق وسفاهة، وقد تبرأ بعض علماء الشيعة من هذا السخف، والمنقول عن علي رضي الله عنه الذي يدّعون التشيع له يناقضه، ويدل على انعقاد الاجماع بتواتر القرآن الذي بين دفتي المصحف، فقد أثر عنه أنه قال في جمع أبي بكر: «أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله» وقال في جمع عثمان: «يامعشر الناس اتقوا الله، وإياكم الغلو في عثمان وقولكم: حرّاق مصاحف، فوالله ما حرقها

إلا عن ملأ منا أصحاب رسول الله ﷺ وقال: «لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان».

عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ: عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة. وقال: بعث الحجاج بن يوسف إلى قرّاء البصرة، فجمعهم واختار منهم الحسن البصري، وأبا العالية، ونصر بن عاصم وعاصما الجحدري، ومالك بن دينار رحمة الله عليهم. وقال عدّوا حروف القرآن، فبقوا أربعة أشهر يعدون بالشعير، وأجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألف وخمسة عشر حرفا. إنتهى

وقال غيره: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال: فمنهم من لم يزد على ذلك ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات وقيل: وأربع عشرة آية. وقيل: مائتان وتسع عشرة آية. وقيل: مائتان وخمس وعشرون آية أو ست وعشرون آية . وقيل : مائتان وست وثلاثون.

واعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحلِّ والعقد مائة وأربع عشرة سورة كما هي في المصحف العثماني، أولها الفاتحة وآخرها الناس. وقال مجاهد: وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسملة ويرده تسمية النبي ﷺ كل منهما، وعدد آياته في قول علي رضي الله عنه ستة الاف ومائتان وثمان عشرة. وعطاء: ستة آلاف ومائة وسبع وسبعون. وحميد: ستة آلاف ومائتان واثنتا عشرة. وراشد ستة آلاف ومائتان وأربع. واعلم أن سبب اختلاف العلماء في عدد الآي والكلم والحروف أن النبي ﷺ كان يقف على رءوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فيحسب السامع أنها ليست فاصلة.

وأيضا البسملة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدها.

وسبب الاختلاف في الكلمة أن الكلمة لها حقيقة ومجاز، ورسم واعتبار كل منها جائز وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز.

ترتيب آيات القرآن الكريم

الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك.

أما الإجماع: فنقله غير واحد، منهم الزركشي في (البرهان) وأبو جعفر بن الزبير في (مناسباته) وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين.

وسيأتي من نصوص العلماء ما يدل عليه.

وأما النصوص: فمنها حديث زيد السابق: كنا عند النبي ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع. رواه الحاكم

ومنها: ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينها سطر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول:

ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل في المدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ووضعتها في السبع الطوال.

ومنها ما أخرجه أحمد بإسناد حسن، عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوّبه، ثم قال: ﴿أتاني جبريل، فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة:

إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ «النحل» إلى آخرها».

ومنها: ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان:

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٣٤﴾ «البقرة»

قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها ولم تدعها؟ قال: يابن أخي، لا أغيّر شيئا منه من مكانه.

ومنها: ما رواه مسلم عن عمر قال: ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة، حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: «تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء».

ومنها: الأحاديث في خواتيم سورة البقرة.

ومنها: ما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعا: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» وفي لفظ عنده: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف».

ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالا: ما ثبت من قراءته ﷺ لسور عديدة:

كسورة البقرة وآل عمران والنساء في حديث حذيفة.

والأعراف - في صحيح البخاري - أنه قرأها في المغرب.

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ روى النسائي أنه قرأها في الصبح، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أخذته سعلة فركع.

والروم: روى الطبراني أنه قرأها في الصبح.

و﴿الـم (١) تَنزِيـلُ الْكِتَابِ﴾ و﴿هَـلْ أَتَى عَلَى الإِنسَـانِ﴾ روى الشيخان: أنه كان يقرؤهما في صبح الجمعة.

و﴿ق﴾ في صحيح مسلم: أنه كان يقرؤها في الخطبة.

و﴿الرحمن﴾ في المستدرك وغيره: أنه قرأها على الجن.

و﴿النجـم﴾ فـي الصحيـح: قرأها بمكة على الكفار وسـجد في آخرها.

و﴿اقتربـت﴾ عنـد مسـلم: أنـه كان يقرؤهـا مـع ﴿ق﴾ فـي العيد.

و﴿الجمعة﴾ و﴿المنافقون﴾ في مسـلم: أنه كان يقرأ بهما في صلاة الجمعة.

و(الصف) في المستدرك عن عبد الله بن سلام أنه ﷺ قرأها عليهم حين أنزلت حتى ختمها.

وفي سـور شـتى من المفصل تدل قراءته ﷺ لها بمشـهد من الصحابـة: أن ترتيـب آياتهـا توقيفـي، ومـا كان الصحابـة ليرتبوا ترتيبا سمعوا النبي ﷺ يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك مبلغ التواتر.

وقـال مكي وغيـره: ترتيب الآيات في السـور بأمر مـن النبي ﷺ

ولمالم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة.
وقال القاضي أبو بكر في (الانتصار): ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا.

ترتيب سورالقرآن الكريم

قال الامام السيوطي رحمه الله:

وأما ترتيب السور: فهل هو توقيفي أيضا، أو هو باجتهاد من الصحابة؟ خلاف.

فجمهور العلماء على القول الثاني، منهم الامام مالك والقاضي أبو بكرالباقلاني في أحد قوليه وذهب إلى القول الأول جماعة، منهم القاضي الباقلاني في أحد قوليه.

قال الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله : اختلف في ترتيب السور على ما هو عليه الآن،على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه كان بتوقيف من النبي ﷺ.

القول الثاني: أنه كان باجتهاد من الصحابة.

ﷺ وترتيب بعضها كان باجتهاد من الصحابة.

وقد ذهب جمهور العلماء، منهم مالك والقاضي أبو بكر بن الطيب – الباقلاني – فيما اعتمده واستقر عليه رأيه من قوليه إلى القول الثاني.

وذهبت طائفة منهم إلى القول الأول.
قال أبو بكر بن الأنباري: أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرّقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابا لمستخبر، ويقف جبريل النبي ﷺ على موضع السورة والآية فأنساق السور كأنساق الآيات والحروف، كله عن النبي ﷺ فمن قدّم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ قال: وإنما جمع في المصحف على شيء واحد.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات في مواضعها إنما كان بالوحي.
ومال القاضي أبو محمد بن عطية إلى القول الثالث، فقال: إن كثيرا من السور قد علم ترتيبها في حياة النبي

ﷺ كالسبع الطوال، والحواميم والمفصّل، وإن ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوّض الأمر فيه إلى الأمة بعده.

وقال أبو جعفر بن الزبير: الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية، ويبقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف، كقوله: اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران.رواه مسلم. وكحديث سعيد بن خالد: قرأ رسول الله ﷺ بالسبع الطوال في ركعة. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وفيه أنه عليه السلام كان يجمع المفصّل في ركعة.

وروى البخاري عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه الأنبياء: إنهن في العتاق الأول وهن من تلادي. فذكرها نسقا كما استقر ترتيبها. وفي صحيح البخاري أنه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ: قل هو الله أحد والمعوذتين.

العتاق الاول: السور التي انزلت بمكة أولا . من تلادي : من أول ما اتخذته وتعلمته بمكة.

وقال أبو الحسين أحمد بن فارس في كتاب «المسائل الخمس»: جمع القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين، فهذا الضرب هو

الـذي تـولاه الصحابة رضـى الله عنهم، وأمـا الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور، فذلك شيء تولاه النبي ﷺ كما أخبر عن أمر ربه عز وجل.

قـال الشـيخ مناع القطان رحمـه الله، اختلـف العلماء في ترتيب السور:

أ. فقيل: إنه توقيفي، تولاه النبي ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، فكان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتب السـور، كما كان مرتـب الآيات علـى هذا الترتيب الذي لدينا اليوم، وهو ترتيـب مصحف عثمان الذي لم يتنـازع أحد من الصحابة فيه مما يدل على عدم المخالفة والإجماع عليه.

ويؤيد هذا الرأي المفصّل: أن رسـول الله ﷺ قرأ بعض السور مرتبـة فـي صلاتـه، روى ابـن أبي شـيبة: أنه عليـه الصلاة والسـلام كان يجمع المفصّـل في ركعـه»، وروى البخاري عن ابن مسـعود أنه قـال في بني إسـرائيل والكهف ومريم وطه والأنبيـاء: إنهن من العتـاق الأول، وهن من تلادي» فذكرها نسقا كما استقر ترتيبها.

- ورُوي مـن طريـق ابـن وهـب عـن سـليمان بن بـلال قال: «سـمعت ربيعة يسأل: لم قدّمت البقرة وآل عمران وقد نزل

قبلهما بضع وثمانون سورة مكية، وإن ما أنزلتا بالمدينة؟ فقال: قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه به، ثم قال: فهذا مما ينتهى إليه ولا يسأل عنه». أخرجه بن أشته في المصاحف كما قال السيوطي. ألف: أي جمع

- وقال ابن الحصار: «ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف». ذكره السيوطي في الاتقان

ب- وقيل إن ترتيب السور باجتهاد من الصحابة بدليل اختلاف مصاحفهم في الترتيب.

فمصحف «علي « كان مرتبا على النزول، أوله اقرأ، ثم المدثر، ثم ن، والقلم، ثم المزمل وهكذا إلى آخر المكي المدني.

وكان أول مصحف ابن مسعود، البقرة ثم النساء ، ثم آل عمران.

وأول مصحف أبيّ، الفاتحة، ثم البقرة، ثم النساء ثم آل عمران.

- وقد روى ابن عباس قال: «قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما. ولم تكتبوا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتموها في السبع الطوال، فقال: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه شيء دعا بعض من يكتب فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتها في السبع الطوال.أخرجه ابوداود و الترمذي.

ج. وقيل إن بعض السور ترتيبه توقيفي وبعضها باجتهاد الصحابة، حيث ورد ما يدل على ترتيب بعض السور في عهد النبوة. فقد ورد ما يدل على ترتيب السبع الطوال والحواميم والمفصّل في حياته عليه الصلاة والسلام.
روي أن رسول الله ﷺ قال: «اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران». رواه مسلم

وروي «أنه كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ «قل هو الله أحد» و «المعوذتين». رواه البخاري

وقال ابن حجر: ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفيا، واستدل على ذلك بحديث حذيفة الثقفي حيث جاء فيه: «فقال لنا رسول الله ﷺ: طرأ علي حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه، فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ قلنا: كيف تحزّبون القرآن قالوا: نحزّبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشر سورة، وثلاث عشرة، وحزب المفصّل من «ق» حتى نختم». رواه أحمد وابوداود. يقصد بالتحزيب: ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورد: قال ابن حجر: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله ﷺ، قال: ويحتمل أن الذي كان مرتبا حينئذ حزب المفصّل خاصة بخلاف ماعداه».

وإذا ناقشنا هذه الآراء الثلاثة يتبين لنا:
أن الرأي الثاني الذي يرى أن ترتيب السور باجتهاد الصحابة لم يستند إلى دليل يعتمد عليه.

فاجتهـاد بعـض الصحابة فـي ترتيـب مصاحفهم الخاصة كان اختيـارا منهم قبل أن يجمـع القرآن جمعا مرتبا، فلما جمـع فـي عهد عثمـان بترتيب الآيـات والسـور على حرف واحـد واجتمعت الأمة على ذلك تركوا مصاحفهم، ولو كان الترتيب اجتهاديا لتمسكوا بها.

وحديث سـورتي: الأنفال والتوبة الذي روي عن ابن عباس يدور إسناده في كل رواياته على «يزيد الفارسي» الذي يذكره البخاري في الضعفاء، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائـل السـور. كأن عثمـان كان يثبتها برأيـه وينفيها برأيه. ولذا قال فيه الشـيخ أحمد شـاكر في تعليقه عليه بمسـند الإمام أحمد: إنه حديث لا أصل له».

وغاية ما فيه أنه يدل على عدم الترتيب بين هاتين السورتين فقط.

أما الرأي الثالث الذي يرى أن بعض السور ترتيبها توقيفي، وبعضها ترتيبه اجتهادي، فإن أدلته ترتكز على ذكر النصوص الدالـة على ما هـو توقيفي. أما القسـم الاجتهادي فإنه لا يسـتند إلى دليل يدل على أن ترتيبه اجتهادي. إذ أن ثبوت التوقيفي بأدلته لا يعني أن ما سواه اجتهادي، مع أنه قليل جدا.

وبهذا يترجح أن ترتيب السور توقيفي كترتيب الآيات، قال أبو بكر بن الأنباري: «أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرّقه في بضع وعشرين فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابا لمستخبر، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الاية والسورة ، فاتساق السور كاتساق الايات كله عن النبي ﷺ. فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن» وقال الكرماني في «البرهان» ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه. وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين. وكان آخر الآيات نزولا ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾

فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين».

أسماء السور

قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى :

قد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ولولا خشية الأطالة لبينت ذلك.

ومما يدل لذلك: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: كان المشركون يقولون: سورة البقرة وسورة العنكبوت، يستهزئون بها، فنزل: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ «الحجر» وقد كره بعضهم أن يقال: سورة كذا، لما رواه الطبراني والبيهقي عن أنس مرفوعا: «لا تقولوا سورة البقرة، ولا سورة آل عمران، ولا سورة النساء وكذا القرآن كله، ولكن قولوا السورة التي تذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران، وكذا القرآن كله». وإسناده ضعيف، بل ادعى ابن الجوزي أنه موضوع.

وقال البيهقي: إنما يعرف موقوفا على ابن عمر، ثم أخرجه عنه بسند صحيح، وقد صح إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه ﷺ، وفي الصحيح: عن ابن مسعود أنه قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة، ومن ثم لم يكرهه الجمهور.

أقسام سور القرآن الكريم

قال الشيخ مناع القطاع:-

سور القرآن أقسام أربعة: ١. الطوال ٢. المئين ٣. المثاني ٤. المفصّل.

نوجز أرجح الآراء فيها:-

١- فالطوال: سبع: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والسابعة، قيل: هي الأنفال وبراءة معا لعدم الفصل بينهما بالبسملة وقيل هي يونس.

٢- المئين: التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.

٣- والمثاني: هي التي تليها في عدد الآيات، سميت بذلك لأنها تثنّى في القراءة وتكرر أكثر من الطوال والمئين.

٤- والمفصل: قيل: من أول سورة «ق»: من أول «الحجرات وقيل: غير ذلك - وأقسامه ثلاثة - طواله، وأوساطه، وقصاره.

فطواله: من «ق» أو «الحجرات» إلى «عمّ» أو «البروج» وأوساطه: من «عمّ» أو «البروج» إلى «الضحى» أو إلى «لم

يكـن» وقصـاره: من «الضحى» أو «لم يكـن» إلى آخر القرآن.
على خلاف في ذلك.
وتسميتها بالمفصّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة.

الخط القرآني أو رسم المصحف العثماني

قال الشيخ الدكتور محمد مأمون كاتبي:-
إعلـم أيهـا القـارئ أنـه يجـب اتباع ما رُسـم فـي المصاحف العثمانيـة من المقطوع والموصول ومـا كُتب بالتاء المفتوحة أو الهاء وما إلى ذلك مما سيأتي بيانه، وقد أمرنا الشارع ﷺ بالاتباع ونهانا عن الابتداع والمخالفة.
رُوي عـن رسـول الله ﷺ أنـه قال: اقتـدوا باللذين من بعدي أبـي بكر وعمر. أخرجـه الترمذي وقال: هذا حديث حسـن غريب.
وقـال ﷺ: أصحابي كالنجوم بأيهـم اقتديتم اهتديتم. قال الحافظ في اللسان: أخرجه الدارقطني في غرائب مالك.

وعـن العربـاض بن سـارية رضي الله عنه قـال: وعظنا رسـول الله ﷺ موعظـة وجلـت منها القلوب وذرفت منهـا العيون، فقلنا يا رسـول الله كأنهـا موعظة مـودّع فأوصنـا، فقـال: «أوصيكم

بتقوى الله والعمل والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

ففي هذه الأخبار دلالة واضحة على طلب الاقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم فيما فعلوه، ومما فعلوه مرسوم المصاحف العثمانية، وقد اجتمع على كتابة المصحف حين كتبوه اثنا عشر ألفا من الصحابة، وقد أجمع أئمة المسلمين على اتباعهم، والإجماع حجّة كما تقرر في علم الأصول، فيجب علينا اتباعهم فإن في مخالفتهم خرق الإجماع.

فنحن مأجورون على اتباعهم وآثمون على مخالفتهم، فيجب على كل مسلم أن يقتدي بهم وبفعلهم. فما كتبوه بواو فواجب أن يكتب بواو، وما كتبوه بألف فواجب أن يكتب بألف، وما كتبوه بغير ألف فواجب أن يكتب بغير ألف وما إلى ذلك.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان له كتّاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم، وأقرّهم الرسول على كتابته، وانتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وقد كتب

القـرآن كله على هـذه الكيفية المخصوصة لـم يحدث فيها تغييـر ولا تبديـل، ثم تولى الخلافة بعـده أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأمر بكتابـة القـرآن كله فـي الصحف على هـذه الهيئة، ثم جاء عثمان رضى الله عنه فنسـخت المصاحـف العثمانية بأمره مـن صحف أبـي بكر على هذا الرسـم ايضا، وأقـرّ أصحاب رسول الله ﷺ عمل أبي بكر وعثمان في المصاحف، ولم ينكر أحـد منهم عليهما، واسـتمر المصحف مكتوبا بهذا الرسـم فـي عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهديـن فـي عصورهم المختلفة، ولم يثبـت أن أحدا من هؤلاء جميعا حدّثته نفسه بتغيير هجاء المصاحف ورسمها الـذي كتبـت عليه أولاً وكتابتها برسـم آخر يسـاير الرسـم المحـدث الـذي حدث فـي عهد ازدهـار التأليف فـي البصرة والكوفة، بل ظل الرسـم القديم مسـتقلا بنفسـه بعيدا عن التأثـر بالرسـم الحـادث، نعم ظل الرسـم القـديم منظورا إليـه بعـين التقديس والإكبار في سـائر العصـور المختلفة، والأزمنة المتفاوتة مع أنه قد وجد في هذه العصور المختلفة أنـاس يقـرأون القرآن ولا يحفظونه، وهم في الوقت نفسـه لا يعرفون من الرسـم الا هذا الرسـم المحدث الذي وضعت قواعـده في عصر التأليف والتدوين، وشـاع اسـتعمال هذه القواعد بين الناس في كتابة غير القرآن.

ولم يكن وجود هذا الصنف من الناس مما يبعث الأمة على تغيير رسم المصحف بما تقضي به هذه القواعد الجديدة. وإذا ثبت أن الرسم القديم الذي كتبت عليه المصاحف قد حظي بإقرار الرسول ﷺ له وإجماع الصحابة عليه، ورضا أئمة الصدر الأول وهم خير هذه الأمّة عنه، واتفاق التابعين وأتباعهم والأئمة المجتهدين عليه، فلا يجوز العدول عنه إلى غيره، وخاصة وأنه أحد أركان القراءة الصحيحة.

وإليك نصوص الأئمة في هذا:

سئل مالك: أرأيت من استكتب مصحفا، أترى أن يكتب على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم؟ قال: لا أرى ذلك، ولكنه يكتب على الكتبة الأولى: كتبة الوحى.

قال الإمام الداني ولا مخالف له (يعني مالكا) في ذلك من علماء الأمة.

وقال أيضا: سئل مالك عن الحروف تكون في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغيّر في المصحف إذا وجدت فيه كذلك؟ قال: لا.

قال أبو عمرو: يعني الواو، والألف الزائدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو الواو في (أولئك) و (أولي) ونحو الألف في و (لاأوضعوا) و(أولأذبحنه)

وقال الإمام أحمد: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك.

وقال الإمام البيهقي في شعب الإيمان: من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغيّر مما كتبوه شيئا، فإنهم كانوا أكثر علما، وأصدق قلبا ولسانا، وأعظم أمانة منّا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم.

وفي المدخل للإمام ابن الحاج المتوفى ٧٣٧هـ: ويتعين عليه، يريد كاتب المصحف أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان وهو أن ينسخ المصحف على غير مرسوم المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة على ما وجد به بخط عثمان بن عفان رضي الله عنه. قال الإمام مالك: القرآن يكتب بالكتاب الأول.

وفي شرح الطحاوي: ينبغي لمن أراد كتابة القرآن الكريم أن ينظم الكلمات كما هي في مصحف عثمان رضي الله عنه لإجماع الأمة على ذلك. وقال القاضي عياض في آخر كتاب الشفاء: وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في جميع أقطار

الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إلى آخر ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص حرفا قاصدا لذلك أو بدّله بحرف آخر مكانه أو زاد حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر. وأيّده شراحه ومنهم الإمامان الملّا علي القاري والشهاب الخفاجي (كلاهما من كبار الحنفية) وقالا بعد قوله: أو زاد حرفا أي في كتابة أو قراءة.

وقال العلامة النيسابوري: إن كل ما كتب في المصحف على غير أصل لا يقاس عليه غيره من الكلام، لأن القرآن يلزمه لكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع المصحف في هجائه واجب ومن طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته، لأنه بالهجاء يتلى والفائدة للقارئ في معرفته أن يكون على يقين أن الذي يقرأ هو القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ بلا خلل فيه من جهة من الجهات.

وقال جماعة من الأئمة أن الواجب على القرّاء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فإنه

رسم زيد بن ثابت وكان أمين رسول الله ﷺ وكاتب وحيه، وعلم من هذا العلم بدعوة النبي ﷺ ما لم يعلم غيره فما كتب شيئا من ذلك الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة ، وان قصر عنها رأينا، ألا ترى أنه لو كتب على صلواتهم وإن صلوتك بالألف بعد الواو أو بالألف من غير واو لما دل على ذلك إلا على وجه واحد، وقراءة واحدة وكذلك ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ «الرعد»، كتب ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾ بغير ألف قبل الفاء ولا بعدها ليدل على القراءتين، والله أعلم.

ويشهد لذلك أيضا ما ذكره العلامة الشيخ أحمد بن المبارك في كتاب الذهب الإبريز عن شيخه السيد الشيخ عبد العزيز الدباغ أنه قال: رسم القرآن العزيز سر من أسرار المشاهدة وكمال الرفعة، قال سيدي أحمد فقلت له هل رسم الواو بدل الألف في نحو الصلوة والزكوة والربو، ومشكوة، وزيادة الواو في (سأوريكم) (وأولئك) و(أولاء) والياء في (هديهم) و(موسى) و(عيسى) و(ملائه) و(بأييد)، هذا صادر من النبي ﷺ أو من سادتنا الصحابة رضى الله عنهم؟

فقال: هو صادر من النبي ﷺ وهو الذي أمر الكتّاب من الصحابة رضي الله عنهم أن يكتبوه على الهيئة المذكورة فما

زادوا حرفا ولا نقصوا - رضي الله عنهم - على ما سمعوا من النبي ﷺ.

فقلت له: فإن جماعة من العلماء رحمهم الله ترخّصوا في أمر الرسم وقالوا: إنما هو اصطلاح من الصحابة - رضي الله عنهم - جروا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية.

قال: ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن العزيز ولا شعرة واحدة، وإنما هو بتوقيف من النبي ﷺ وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة، بزيادة الأحرف ونقصانها، لأسرار لا تهتدي إليها العقول وما كانت العرب في جاهليتها، ولا أهل الإيمان من سائر الأمم في أديانهم يعرفون ذلك، ولا يهتدون بعقولهم إلى شيء منه، وهو سر من أسراره خصّ الله به كتابه العزيز، دون سائر الكتب السماوية، فلا يوجد شبه ذلك الرسم لا في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في غيرهما من الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه كذلك أيضا معجز، وكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة (الألف) في مائة دون فئة، وإلى سر زيادة (الياء) في (بأييد) من قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ «الذاريات» وبأييد أي بقوة.

قال الإمام الزركشي: قال أشهب: سئل مالك رحمه الله: هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى. رواه أبو عمرو الداني في المقنع ثم قال: ولا مخالف له من علماء الأمة.

وقال في موضع آخر: سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف: أترى أن تغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك؟ فقال: لا قال أبو عمرو: يعني الواو والألف المزيدتين في الرسم لمعنى، والمعدومتين، في اللفظ نحو ﴿الواو﴾ في: ﴿أولوا الألباب﴾، و﴿وأولات﴾ و: ﴿الربوا﴾ ونحوه.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك.

معنى نزول القران الكريم على سبعة أحرف

قال الشيخ الدكتور محمد مأمون كاتبي :-
واختلف أقوال العلماء في المراد بهذه الأحرف السبعة لأنه لم يرد نص عن النبي ﷺ في بيانها والمراد منها:

فذهب بعضهم إلى أنها سبع لغات، وتعقب هذا المذهب بأن لغات العرب أكثر من سبعة وأجيب بأن المراد أفصحها.

واختلف القائلون بهذا في تعيين هذه اللغات فذهب بعضهم إلى أنها قريش وهذيل وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن.

وذهب آخرون إلى أنها قريش، وهذيل، وتميم، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر.
وقيل: إن اللغات السبع في بطون قريش لأن القرآن نزل بلغاتهم لقوله تعالى: وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِ «ابراهيم»
قال أبو عبيد: ليس المراد أن كل كلمة تتوارد عليها سبع لغات، بل اللغات السبع مفرقة في القرآن ما بين كلمة وأخرى. فبعض الكلمات نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن، وهكذا، وإن كان بعض اللغات أسعد حظا وأكثر نصيبا من القرآن من بعض.

ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أن القرآن نزل بلغة قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها في الألفاظ والإعراب، ولم يكلّف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة، ولما كان فيهم من الحميّة، ولطلب تسهيل فهم المراد، كل ذلك مع اتفاق المعنى، وعلى هذا يتنزل اختلافهم في القراءة، وتصويب رسول الله ﷺ كلا من المختلفين.

قال ابن حجر في الفتح: وتتمة ذلك أن يقال: إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتّشهي أي أن كل واحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته، بل المراعى في ذلك السماع من فم رسول الله ﷺ، ويشير إلى ذلك قول كل من عمر وهشام: أقرأني النبي ﷺ اهـ

وهذه المذاهب التي تفسّر الأحرف في الحديث باللغات لا تتلاقى مع الأحاديث الواردة في هذا الشأن خصوصا حديث عمر وهشام، فإنه دل على اختلافهما في القراءة وهما قرشيان، من قبيلة واحدة، ويتكلمان بلغة واحدة، ومنطق واحد، فلو كان المراد من الأحرف اللغات لما اختلف

عمر وهشام ولما أنكر عليه عمر قراءته ولغته فحينئذ لا يكون المراد بالأحرف السبعة اللغات.

قال شيخنا الإمام عبد الفتاح القاضي رحمه الله: وأحسن ما تحمل عليه الأحاديث المذكورة في نظرنا أن يراد بالأحرف القراءات، فقوله ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف معناه على سبع قراءات[1]. وفي الحديث مجاز مرسل حيث أطلق اسم الجزء وهو الحرف، وأراد الكل وهو الكلمة القرآنية المشتملة على قراءة معينة، والعلاقة الجزئية، كإطلاق اسم الرقبة على العبد كله، وإطلاق اسم العين على الشخص بجملته، وتسمية الكلمة القرآنية المختلف في قراءتها حرفا باعتبار ان فيها حرفا اختلف القرّاء في قراءته، فرفعه قارئ ونصبه آخر، أو قرأه قارئ بياء الغيب وغيره بتاء الخطاب، أو زاده البعض في الكلمة ونقصه البعض منها إلى غير ذلك، فالمبررلهذا المجاز أن لهذا الحرف من المزية ما ليس لباقي حروف الكلمة وهو كونه موضعا لاختلاف القرّاء، ومن إطلاق القراءة على الحرف قولهم: حرف نافع كذا، وحرف حمزة كذا، يعنون بذلك قراءته.

---

١) والقراءات جمع قراءة وهي الهيئة المخصوصة في الكلمة القرآنية من حيث بنيتها الأصلية وجوهر حروفها، أو من حيث شكلها وحركاتها وإعرابها، ومردها السماع من رسول الله ﷺ.

وليس المراد أن كل كلمة في القرآن فيها سبع قراءات، فإن ذلك لا يوجد إلا في كلمات قليلة جدا في القرآن الكريم مثل جبريل، أرجه، هيت، بالنظر إلى ما في هذه الكلمات من قراءات صحيحة وشاذة كما أنه ليس المراد بالأحرف السبعة قراءات الأئمة السبعة المشهورين، وإنما المراد أن الكلمة القرآنية تقرأ بقراءة أن اثنتين أو ثلاث إلى سبع قراءات وهذا غاية ما ينتهي إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة من القرآن، وقريب مما ذكرناه في معنى الأحرف أن يراد بها الأوجه فقوله ﷺ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف) معناه: على سبعة أوجه.[1] رواه البخاري ومسلم

وأحسن ما قيل في المراد بالأحرف السبعة ما ذكره الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى حيث قال: ولازلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نحو نيف وثلاثين سنة حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صوابا إن شاء

---

١) ومن معاني الحرف في اللغة الوجه، ومنه قوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) . أي على وجه واحد وحال واحدة، وهي ان يكون في عيش رغيد وحياة مترفة، فاذا توفر له هذا سكنت نفسه وقرت عينه وعبدالله تعالى.
واذا امتحن بشيء من البلاء في نفس أو مالأ وولد انقلب على وجه هو سخط على ربه وكفربه، فهذا عبدالله تعالى على وجه واحد وحالة واحدة وهي حالة السراء دون حالة الضراء. أه . أبحاث في قراءات القران الكريم لشيخنا العلامة عبدالفتاح القاضي.

الله تعالى، وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وضعيفها وشاذها ومنكرها فإذا هي يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها وذلك إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو: (البخل) باثنتين [1] و(يحسب) بوجهين.

حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف

قال الشيخ منّاع القطان رحمه الله : تتلخص حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف في أمور:

١. تيسير القراءة والحفظ على قوم أُميين، لكل قبيل منهم لسان ولا عهد لهم بحفظ الشرائع، فضلا عن أن يكون ذلك مما ألفوه، وهذه الحكمة نصت عليها الأحاديث في عبارات:

عن أُبي قال: «لقى رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المراء فقال: إني بعثت إلى أمة أميين، منهم الغلام والخادم والشيخ العاس والعجوز، فقال جبريل: فليقرأوا القرآن

١) قرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الباء والخاء (بالبخل) والباقون بضم الباء واسكان الخاء (بالبخل). النساء ٣٧ وهما لغتان مثل (الحزن والحزن ، والرشد والرشد).

على سبعة أحرف». «إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف، فقلت:اللهم رب خفّفه على أمتي، فقال: إقرأه على حرفين، وأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف، من سبعة أبواب، من الجنة كلها شاف كاف». أخرجه ابن جرير الطبري عن أبي. «إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرف، قال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك».

أخرجه أحمد وابوداود والترمذي.

أحجار المراء: موضع بقباء

الشيخ العاس: الكبير المسن الضعيف

٢- إعجاز القرآن للفطرة اللغوية عند العرب، فتعدد مناحي التأليف الصوتي للقرآن تعدداً يكافئ الفروع اللسانية التي عليها فطرة اللغة في العرب حتى يستطيع كل عربي أن يوقع بأحرفه وكلماته على لحنه الفطري ولهجة قومه مع بقاء الإعجاز الذي تحدى به الرسول العرب ومع اليأس من معارضته لا يكون إعجازا للسان دون آخر، وإنما يكون إعجازا للفطرة اللغوية نفسها عند العرب.

٣- إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه، فإن تقلب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات يتهيأ معه استنباط

الأحكام التي تجعل القرآن ملائما لكل عصر، ولهذا احتج الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد بقراءات الأحرف السبعة.

آداب قارئ القرآن وقراءته

قال الشيخ الدكتور محمد مأمون كاتبي : إعلم أنه أول ما يجب على قارئ القرآن أن يخلص في قراءته، وأن يريد بها وجه الله تعالى، وأن لا يقصد بها توصلا إلى شيء سوى ذلك.

وأن يستحضر في نفسه أنه يناجي ربه، ويقرأ على حال من يرى الله تعالى، فإنه إن لم يكن يراه فإن الله يراه.

وإذا أراد القراءة نظّف فاه بالسواك وغيره، والسواك أولى ويقول عند الاستياك: اللهم بارك لي فيه يا أرحم الراحمين.

أما إذا كان فم القارئ متنجسا بدم أو غيره، فإن يكره له قراءة القرآن قبل غسله وقيل تحرم مس المصحف باليد النجسة.

ويستحب أن يقرأ وهو على طهارة فإن قرأ محدثا جاز بالإجماع ولا يقال ارتكب مكروها بل هو تارك للأفضل، وإذا عرض له خروج ريح فليمسك عن القراءة حتى يتكامل خروجها ثم يعود إلى قراءته.

ويستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف وأفضله المسجد، وأن يستقبل القبلة، قال الإمام النووي: يستحب للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة فقد جاء في الحديث: (خير المجالس ما استقبل به القبلة) رواه أبويعلى والطبراني في الاوسط، ويجلس متخشعا بسكينة ووقار، مطرقا رأسه، وأن يجتنب الضحك والحديث الأجنبي خلال القراءة إلا لحاجة، لأن كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره.

وإذا شرع في القراءة استعاذ لقوله تعالى:

فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ «النحل»

أي إذا أردت قراءته، وصيغته المختارة عند عامة الفقهاء وجميع القراء «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

وإذا شرع القارئ في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر والتفهم.

قال في الإتقان: وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، قال تعالى:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ «ص»

وقال تعالى: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ «النساء»

وصفة ذلك: أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك ، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزّه وعظّم أو دعاء تضرع وطلب.

أخرج مسلم عن حذيفة قال: صليت مع النبي (ﷺ) ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها ثم النساء ثم آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا إذا مرّبآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ.

قال الإمام النووي: ومن الآداب اذا تثاءب القاريء أمسك عن القراءة حتى ينقضي التثاؤب ثم يقرأ.

ومما يُعتنى به ويتأكد الأمر به ، إحترام القران من أمور قد يتساهل فيها بعض المسلمين اليوم. فمن ذلك اجتناب الضحك ، واللغط والحديث في خلال القراءة الا كلاما يضطر اليه ، وليتمثل قول الله تعالى :

وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾

«الأعراف»

القراءة بالعربية

لاتجوز قراءة القرآن بالعجمية سواء أحسن العربية أم لم يحسنها ، وسواء كان في الصلاة أم في غيرها ، فان قرأ بها في الصلاة لم تصح صلاته وهذا مذهب جمهور العلماء.

وقال ابو حنيفة : يجوز ذلك وتصح به الصلاة .

وقال أبو يوسف ومحمد : يجوز ذلك لمن لم يحسن العربية، ولا يجوز لمن يحسنها.

ويستحب أن يقرأ على ترتيب المصحف لأن ترتيبه لحكمة فلا يتركها إلا فيما ورد الشرع باستثنائه، كصلاة الصبح يوم الجمعة يقرأ في الأولى سورة السجدة، وفي الثانية هل

أتى على الإنسان، فلو فرق السور أو عكسها جاز وقد ترك الأفضل.

قال الإمام النووي: وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف

وأما قراءة السورة من اخرها الى أولها فممنوع منعا متأكدا، فانه يذهب بعض ضروب الاعجاز ، ويزيل حكمة ترتيب الايات.

وأما تعليم الصبيان من آخر المصحف الى اوّله فحسن ، ليس هذا من هذا الباب فان ذلك قراءة متفاضلة في أيام متعددة ، مع ما فيه من تسهيل الحفظ عليهم .

قراءة الجماعة مجتمعين

إعلم أن قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة بالدلائل الظاهرة ، وأفعال السلف و الخلف المتظاهرة . فقد صح عن النبي ﷺ من رواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري –رضي الله عنهما- أنه قال: « ما من قوم يذكرون الله الا حفّت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح. وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم

الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، رواه مسلم وأبوداود.

القراءة في المصحف

قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب، لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة ، فتجتمع القراءة والنظر ، هكذا قال القاضي حسين وأبوحامد الغزالي وجماعات من السلف .

ونقل الغزالي في الإحياء أن كثيرا من الصحابة رضي الله عنهم ، كانوا يقرؤون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف .

ويستحب البكاء عند قراءة القرآن، والتباكي لمن لا يقدر عليه والحزن والخشوع، ويسن الترتيل عند قراءة القرآن، ويسن للقارئ تحسين صوته بالقراءة وتزيينها لحديث رسول الله ﷺ: «زيّنوا القران بأصواتكم» رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه

وحديث البراء – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ قرأ بالعشاء بالتين والزيتون ، فما سمعت أحدا أحسن صوتا منه . رواه البخاري ومسلم

وعن أبي لبابة بشر بن عبدالمنذر- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «من لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا» رواه أبو داود .

ومعنى يتغنّ: يحسّن صوته بالقرآن.

ويسن للقارئ أن يتعاهد القرآن لما في الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن، كمثل صاحب الإبل المعلّقة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»، ويسن السجود عند قراءة آية السجدة.

الوقف في القراءة

ينبغي للقاريء اذا ابتدأ من وسط السورة ، أو وقف على غير آخرها أن يبتدأ من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض. وأن يقف على الكلام المرتبط ولايتقيد بالأعشار والأجزاء، فانها قد تكون في وسط الكلام المرتبط كالجزء الذي في قوله تعالى : وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ «يوسف»

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ «الأعراف»

فكل هذا وشبيهه لا ينبغي أن يبتدأ به ، ولا يوقف عليه ، فانه متعلق بما قبله .

الأحوال التي تكره فيها القراءة

إعلم ان قراءة القرآن على الاطلاق مندوبة ومستحبة ، إلا في أحوال مخصوصة جاء الشرع بالنهي عن القراءة فيها وهي:

١- تكره القراءة في حال الركوع والسجود ، والتشهد ، وغيرها من أحوال الصلاة سوى القيام.

٢- وتكره القراءة بما زاد على الفاتحة للمأموم في الصلاة الجهرية ، اذا سمع قراءة الامام.

٣- وتكره في حالة القعود على الخلاء .

٤- وفي حالة النعاس .

ولا تكره القراءة في الطواف ، هذا مذهب الشافعي وبه قال أكثـر العلمـاء وحكاه ابن المنذر عن عطـاء ، ومجاهد ، وابن المبارك وأبي ثور وأصحاب الرأي.

حكم مسِّ المصحف الشريف وحمله

قال الشيخ الدكتور محمد مأمون كاتبي :

يحـرم على المحـدث حدثا أكبر أو أصغـر أن يمسّ المصحف بأي جزء من أجزاء بدنه ولو سـنا وظفرا ولسـانا سواء كان المـس بحائـل أم بغيـر حائـل فلـو لف كمـه على يـده وقلب أوراق المصحف بها حرم، ولا فرق في حرمة المسّ بين الجزء المشـغول بالكتابـة وغيـر المشـغول بهـا، فيحـرم عليه مس هامـش المصحف وما بين أسـطر الكتابـة ويحرم عليه مس الـورق الخالـي مـن الكتابة الـذي يوضع فـي أول المصحف وآخـره، وكذلك يحرم عليـه تحريك المصحف من مكان إلى مكان. أما إذا تصفّح أوراقه بعود ونحوه ففيه وجهان:

أحدهمـا: يجـوز نظرا إلى أنـه غير مباشـر للمصحف، ولا حامل له.

والثانـي: لا يجـوز نظـرا إلى أنـه حمل الورقـة وهي بعض المصحف، وكذلك يحرم عليه حمل المصحف من غير ضرورة إلـى حملـه، فلو كان هنـاك ضرورة لحملـه، كأن خاف عليه تنجسـا أو غرقـا، أو حرقـا أو تلفا، ولم يتمكـن من التطهر، ولم يجد مسلما ثقة يودعه عنده فلا حرمة عليه من حمله لأن حملـه والحالـة هذه صيانة للمصحـف، وحفظ له من التلف والضياع.

ويجـوز حمل المصحف مع متاع إن قصـد حمل المتاع وحده أو أطلـق بـأن لم يقصد شـيئا أو قصد حملـه وحمل المتاع، أمـا إذا قصـد حمل واحد منهمـا لا بعينه فلا يجوز الحمل حينئذ بل يحرم.

ويجوز حمل المصحف إذا كان معه تفسـير بشـرط أن يكون التفسير أكثر من القرآن يقينا، فإن كان التفسير أقل كبعض كتب غريب القرآن التي توضع على هامش المصحف، أو كان التفسير مساويا للقرآن في الكلمات، أوشكّ في كثرة كلمات التفسير على كلمات القرآن حرم الحمل حينئذ.

ولو وضع يده على قرآن وتفسير فهو كالحمل في التفصيل المذكور بين أن يكون التفسير أكثر أو لا.

ويحرم مسّ وحمل الألواح التي يكتب فيها شيء من القرآن للحفظ والدراسة، هذا بالنسبة للكبار الذين لا يقصدون من مسّ اللوح وحمله حفظ ما فيه، وأما الصغار، ومثلهم الكبار الذي ينقلون الآيات من المصحف ويكتبونها في الألواح بقصد الدراسة والاستظهار فلا حرمة عليهم في مسّ اللوح وحمله، ولا في مس المصحف وحمله بلا تطهر لما في إيجاب الطهارة عليهم من المشقة والحرج.

ويحرم كل ما من شأنه أن يتنافى وقدسية المصحف الشريف، ويحط من قدره المنيف نحو إلقائه بيده كالمستهين به، فإن هذا محرم شرعا وقد يجر إلى الكفر والعياذ بالله، ونحو توسده أي جعله وسادة للاتكاء عليه، ونحو وضعه مقابلا لرجليه، أو وضع شيء عليه من كتب أوغيرها ولو كتب حديث لما في ذلك كله من امتهانه، ويمنع المجنون والصبي غير المميّز من مسّ المصحف أو حمله خوفا من انتهاك حرمته، وهذا المنع واجب على الوليّ وغيره من كل مسلم يرى مجنونا أو صبيا غير مميز يتعرض لمس المصحف أو حمله فإن لم يفعل أثم.

وأما قراءة القرآن فقد أجمع المسلمون على جوازها بالنسبة

للمحدث حدثا أصغر، ولكن الأفضل للمسلم أن يتطهر من الحدث الأصغر إذا أراد القراءة.

وأما الحدث الأكبر وهو الجنب فيحرم عليه شرعا قراءة شيء من القرآن كثر أو قل ولو كان بعض آية إلا إذا قصد الذكر كقوله في ابتداء الأكل (بسم الله الرحمن الرحيم) وفي انتهائه (الحمد لله) وقوله عند المصيبة: (إنا لله وإنا إليه راجعون) وغير ذلك فلا حرمة حينئذ.

والحائض والنفساء في مس المصحف وحمله وفي قراءة القرآن كالجنب في جميع ما تقدم من الأحكام.

قال العلماء: يجوز لكل من الجنب والحائض والنفساء النظر في المصحف من غير مسه ولا حمله، ولا تلفظ بكلماته وكذا يجوز لهؤلاء إمرار القرآن على قلوبهم دون تحرك ألسنتهم.

هذا ويستحب تقبيل المصحف بالقياس على تقبيل الحجر الأسود، لأنه هدية من الله عز وجل فشرع تقبيله، ويستحب تطييبه وتعظيمه وجعله على كرسي أو على محل مرتفع أو فوق سائر الكتب تعظيما له.

المحافظة على تلاوة القرآن

قال الإمام النووي في التبيان :

ينبغي أن يحافظ على تلاوته ويكثر منها، وكان السلف رضي الله عنهم لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه. فروى ابن أبي داود عن بعض السلف رضي الله عنهم، أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة. وعن بعضهم كل شهر ختمة. وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة. وعن بعضهم في كل ثمان ليال. وعن الأكثرين في كل سبع ليالٍ. وعن بعضهم في كل ست ليال .وعن بعضهم في كل خمس ليال . وعن بعضهم في كل أربع ليالٍ. وعن كثيرين في كل ثلاث ليالٍ. وعن بعضهم في كل ليلتينٍ. وعن كثيرين في كل يوم وليلة ختمة. ومنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ختمتينٍ. ومنهم من كان يختم ثلاثا . وختم بعضهم ثماني ختمات أربعاً في الليل وأربعاً في النهار.

فمن الذين كانوا يختمون الختمة في اليوم والليلة: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، ومجاهد والشافعي وآخرون، ومن الذين كانوا يختمون ثلاث ختمات: سليم بن عترٍ رضي الله عنه قاضي مصر في خلافة معاوية

رضي الله عنه. فروى أبو بكر بن أبي داود أنه كان يختم في كل ليلة ثلاث ختمات.

والإختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له به كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى أحد الملل والهذرمة.

وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة، ويدل عليه الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم. قال الترمذي: حديث صحيح، والله أعلم.

المحافظة على قراءة القرآن في الليل

قال الإمام النووي في التبيان:

ينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر، وفي صلاة الليل أكثر، قال الله تعالى: ﴿ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ «ال عمران» وثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: « نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل ».

وعن إبراهيم النخعي قال: اقرؤوه من الليل ولو حلب شاةٍ. وعن يزيد الرقاشي قال: إذا أنا نمت، ثم استيقظت، ثم نمت فلا نامت عيناي.

قلت: وإنما رُجّحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد من الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات، وأصون من الرياء وغيره من المحبطات.

مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل. فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً، وحديث « ينزل ربكم كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يمضي شطر الليل فيقول: هل من داع فأستجيب له » رواه البخاري.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: « في الليل ساعة يستجيب الله فيها الدعاء كل ليلة». رواه مسلم.

الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان

قال الإمام النووي في التبيان :

ثبت عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشدّ تفلتاً من الإبل في عقلها» رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقّلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت» رواه البخاري ومسلم.

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو أجذم « رواه داود والدارمي. أجذم: مقطوع اليد.

آداب الختم وما يتعلق به

ذكر الإمام النووي في التبيان بعض آداب ختم القرآن الكريم.

ويستحب أن يكون في الصلاة، وأنه يستحب أن يكون في ركعتي سنة الفجر، أو ركعتي سنة المغرب، وفي ركعتي الفجر أفضل، وأنه يستحب أن يختم ختمة في أول النهار وأخرى في الليل.

ويستحب صيام يوم الختم إلا أن يصادف يوماً نهى الشرع عن صيامه. وقد روى ابن أبي داود بإسناده الصحيح: أن طلحة بن مصرف وحبيب بن أبي ثابت والمسيب بن رافع التابعين الكوفيين رضي الله عنهم، كانوا يصبحون في اليوم الذي يختمون فيه القرآن صياماً.

ويستحب حضور مجلس ختم القرآن استحباباً متأكداً، فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ أمر الحيّض بالخروج يوم العيد فيشهدن الخير ودعوة المسلمين». رواه البخاري.

وروى الدارمي وابن أبي داود بإسنادهما عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه كان يجعل رجلاً يراقب رجلاً يقرأ القرآن، فإذا أراد أن يختم أعلم ابن عباس فيشهد ذلك.

وروى ابن أبي داود بإسنادين صحيحين والدارمي عن قتادة التابعي الجليل صاحب أنس رضي الله عنه قال: كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا.

وذكر الإمام أنه يستحب الدعاء عقيب الختم استحباباً متأكداً.

إكرام المصحف وتعظيمه

إعلم أن القرآن العزيز كان مؤلفاً في زمن النبي ﷺ على ما هو في المصحف اليوم، ولكن لم يكن مجموعاً في مصحف، بل كان محفوظاً في صدور الرجال، فكان طوائف من الصحابة يحفظونه كله، وطوائف يحفظون أبعاضاً منه.

فلما كان زمن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ، وقتل كثير من حملة القرآن، وخاف موتهم واختلاف من بعدهم فيه، فاستشار الصحابة رضي الله عنهم في جمعه في مصحف، فأشاروا بذلك، فكتبه في مصحف، وجمعه في بيت حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

فلما كان في زمن عثمان رضي الله عنه، وانتشر الإسلام خاف عثمان وقوع الاختلاف المؤدي إلى ترك شيء من القرآن، أو الزيادة

فيه، فنسخ من ذلك المجموع الذي عند حفصة الذي أجمعت الصحابة عليه، مصاحف وبعث بها إلى البلدان، وأمر باتلاف ما خالفها، وكان فعله هذا باتفاق منه، ومن علي بن أبي طالب وسائر الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم.

اتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها.

ويستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه.

لا تجوز كتابة القرآن بشيء نجس، وتكره كتابته على الجدران.

أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه. قال أصحابنا وغيرهم: ولو ألقاه مسلم في القاذورة والعياذ بالله تعالى صار الملقي كافراً.

قالوا: ويحرم توسده، بل توسد كتب العلم حرام.

ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم به عليه، لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار، فالمصحف أولى.

وروينا في مسند الدارمي بإسناد صحيح عن ابن أبي مُليكة: أن عكرمة بن أبي جهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان يضع المصحف على وجهه، ويقول: كتاب ربي.

تحريم السفر بالمصحف إلى أرض العدو، إذا خيف وقوعه في أيديهم للحديث المشهور في الصحيحين : أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو.

ويحرم بيع المصحف من الذمي، ويمنع المجنون والصبي الذي لا يميّز من مسّ المصحف مخافة من انتهاك حرمته، وهذا المنع واجب على الولي وغيره ممن رآه يتعرض لحمله.

ومن حرمته إذا وضع المصحف ألا يتركه منشوراً، وألا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبدا عاليا لسائر الكتب، علماً كان أو غيره.

ومن حرمته أن يضعه في حجره إذا قرأه وعلى شيء بين يديه ولا يضعه بالأرض.

ومن حرمته ألا يمحوه من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء.

ومن حرمته إذا غسله بالماء أن يتوقى النجاسات من المواضع، والمواقع التي توطأ، فإن لتلك الغسالة حرمة، وكان من قبلنا من السلف منهم من يستشفى بغسالته. ومن حرمته ألا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب، فإن ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء.

ومن حرمته ألا يخلي يوماً من أيامه من النظر في المصحف مرة، وكان أبو موسى يقول: إني لأستحي ألا أنظر كل يوم في عهد ربي مرة.

ومن حرمته أن يعطي عينيه حظهما منه، فإن العين تؤدي إلى النفس، وبين النفس والصدر حجاب ، والقرآن في الصدر، فإذا قرأه عن ظهر قلب يسمع أذانه فتؤدي إلى النفس، فإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا في الأداء وذلك أوفر للأداء، وكان قد أخذت العين حظها كالأذن. روى زيد ابن اسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا: يا رسول الله وما حظها من العبادة؟ قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه»، رواه ابن حبان، وروى مكحول عن عبادة بن

الصامت قال: قال رسول الله ﷺ « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن نظراً » رواه الحكيم الترمذي.

ومن حرمته ألا يقرأ في الأسواق ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء، ألا ترى أن الله تعالى ذكر عباد الرحمن وأثنى عليهم بأنهم إذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً، هذا لمروره بنفسه، فكيف إذا مرّ بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهراني أهل اللغو.

ومن حرمته ألا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه، ولا يرمي به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله.

ومن حرمته أن يفتتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور، ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا ختم يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات لئلا يكون في هيئة المهجور، عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: « الحالُّ المرتحل » قال: وما الحالُّ المرتحل؟ قال: الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حلّ ارتحل».
رواه الترمذي.

قلت: (أي الإمام القرطبي) – ويستحب له إذا ختم القرآن أن يجمع أهله، ذكر أبو بكر الأنباري أنبأنا إدريس حدثنا

خلف حدثنا وكيع عن مسعر عن قتادة: أن أنس بن مالك كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا، وأخبرنا إدريس حدثنا خلف حدثنا جرير عن منصور عن الحكم قال: كان مجاهد وعبدة بن أبي لبابة وقوم يعرضون المصاحف، فإذا أرادوا أن يختموا وجهوا إلينا: أحضرونا، فإن الرحمة تنزل عند ختم القرآن. وأخبرنا إدريس حدثنا خلف حدثنا هشيم عن العوام عن إبراهيم التيمي قال: من ختم القرآن أول النهار صلّت عليه الملائكة حتى يمسي، ومن ختم القرآن أول الليل صلّت عليه الملائكة حتى يصبح، قال: فكانوا يستحبون أن يختموا أول الليل وأول النهار.

وذكر الإمام القرطبي في كتابه التذكار في أفضل الأذكار من القرآن الكريم:

ومنها: أي (آداب وتعظيم المصحف) إذا قرأ في المصحف أن لا يتركه منشوراً ولا يضع فوقه شيئاً من الكتب ولا ثوباً ولا شيئاً خطيراً ولا حقيراً حتى يكون بهذا محفوظاً مكنوناً عاليا لسائر الكتب وغيرها. ألا ترى أنه منهي ألا يمسه إلا طاهراً فأولى أن ينهى أن يعرضه للإهانة أو يغفل عنه فيصيبه غبار البيت إذا كنس أو الدخان، أو يعمل عليه

حسابه أو مفتاح حانوته، إلا أن يكونا مصحفان فيوضع أحدهما فوق الأخر فيجوز.

ومنها: أن يضعه في حجره إذا قرأه أو على شيء بين يديه ولا يضعه في الأرض.

ومنها: يستحب أن يستوي له قاعداً إن كان في غير صلاة ولا يكونا متكئاً.

ومنها: النظر في المصحف كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا نظر في المصحف ليقرأ بدأ فقال: « اللهم أنت هديتني ولو شئت لم أهتد، لا تزغ قلبي بعد أن هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب».

وذكر الإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن:

ويستحب تطييب المصحف وجعله على كرسي، ويجوز تحليته بالفضة إكراماً له على الصحيح، روى البيهقي بسنده إلى الوليد بن مسلم قال: سألت مالكاً عن تفضيض المصاحف، فأخرج إلينا مصحفاً فقال: حدثني أبي عن جدي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه وأنهم فضّضوا المصاحف على هذا ونحوه: وأما بالذهب فالأصح يباح

للمـرأة دون الرجل، وخـص بعضهم الجواز بنفس المصحف دون علاقته المنفصلة عنه والأظهر التسوية.

ويحرم توسد المصحف وغيره من كتب العلم، لأن فيه إذلالا وإمتهانا، وكذلك مدّ الرجلين إلى شـيء من القرآن أو كتب العلم.

ويسـتحب تقبيـل المصحـف لأن عكرمـة بن أبـي جهل كان يقبلـه، وبالقياس علـى تقبيل الحجر الأسـود، ولأنه هدية لعباده، فشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير.

ويحرم السـفر بالقرآن إلى أرض العدو للحديث فيه، خوف أن تناله أيديهم.

وقـال الإمام السـيوطي فـي كتابه الاتقان في علـوم القرآن بعد أن ذكر آدابا كثيرة للقرآن:

مسألة : القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه، لأن النظر فيه عبادة مطلوبة.

قال النووي: هكذا قاله أصحابنا والسلف أيضاً، ولم أر فيه خلافاً، قال: ولو قيل أنه يختلف باختلاف الأشخاص، فيختار القراءة لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة فيه ومن الحفظ، وتختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعه، ويزيد على خشوعه لو قرأ من المصحف، لكان هذا قولا حسناً.

قلت (أي الإمام السيوطي): ومن أدلة القراءة في المصحف ما أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أوس الثقفي مرفوعاً: قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة، وقراءته في المصحف تضاعف ألفي درجة.

وأخرج أبو عبيد: فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظاهراً، كفضل الفريضة على النافلة.

وأخرج البيهقي بسند حسن عن ابن مسعود موقوفاً: أديمو النظر في المصحف.

وذكر الشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة في كتابه المدخل لدراسة القرآن الكريم كلاماً جميلا حول هذا الموضوع:

لقد نهي الرسول (ﷺ) عن السفر به إلى أرض العدو إذا خيف وقوع المصحف في أيديهم كما رُوي في الصحيحين.
وقد أفتى العلماء بكفر من مزّقه أو أهانه أو رمى به في قاذورة وبحرمة من باعه لكافر ولو ذمياً، وأوجبوا الطهارة لمسّه وحمله، بل قالوا لكل ما يتصل به من خريطة وغلاف وصندوق على الصحيح، واستحبوا تحسين كتابته وإيضاحها وتحقيق حروفها وتعظيمها وعدم تصغيرها، كما استحبوا تعظيمه والقيام له، قال الإمام النووي: ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم به عليه، لأن القيام يستحب للعلماء والأخيار فالمصحف أولى.

ويجب على من عنده مصاحف أو أوراق منها غير صالحة للقراءة أن يصونها عن مواطئ الأقدام وعن عبث الصبيان، وعليه أن يحرقها أو يدفنها في الأرض بعيداً عن مواطئ الأقدام والقاذروات، رزقنا الله سبحانه التأدب معه ومع كتابه.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

والحمدلله رب العالمين

المراجع

١- التبيان في آداب حملة القرآن – للإمام النووي.

٢- البرهان في علوم القرآن – للإمام الزركشي

٣- التذكار في أفضل الأذكار – للإمام القرطبي.

٤- الإتقان في علوم القرآن – للإمام السيوطي.

٥- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن – للشيخ طاهر الجزائري

٦- لمحات في علوم القرآن – للشيخ الدكتور محمد لطفي الصباغ.

٧- مباحث في علوم القرآن – للشيخ مناع القطان.

٨- بهجة النفوس في تجويد كلام القدوس – للشيخ الدكتور محمد مأمون كاتبي.

٩- المدخل لدراسة القرآن الكريم – للشيخ محمد بن محمد أبو شهبة.

١٠- النهاية في غريب الحديث – للإمام ابن الأثير.

١١- الفتح الرباني للشيخ عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي.

دولة الكويت
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م
برعاية موقع المستنير
www. almostaneer.com